



المسارات الدولية لمهاجري جنوب الصحراء بالجنوب المغربي

عبر المنافذ الشرقية: مقاربة جغرافية

International Routes of Sub-Saharan Migrants in Southern Morocco through Eastern Crossings: A Geographical Approach

د. عبد الحميد جمور: باحث في الجغرافيا البشرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب.

د. مبارك أوراغ: أستاذ التعليم العالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر،
أكادير، المغرب.

*Dr. Abdelhamid Jamour: Researcher in Human Geography,
Faculty of Arts and Humanities, Ibn Zohr University, Agadir,
Morocco.*

abdelhamid.jamour@gmail.com

*Dr. M'bark Aouragh: Professor of Higher Education, Faculty of
Arts and Humanities, Ibn Zohr University, Agadir, Morocco.*

m.aouragh@uiz.ac.ma

ملخص

نسعى من خلال هذا البحث إلى تحليل المسارات الدولية لمهاجري دول جنوب الصحراء الكبرى في الجنوب المغربي عبر المنافذ الشرقية، مع التركيز على التحولات الجغرافية والاقتصادية التي تؤثر على ديناميكيات الهجرة في هذا المجال. تعتمد الدراسة على منهج جغرافي مركب يجمع بين الوصف والتحليل الإحصائي والعمل الميداني، حيث تم توظيف استبيانات ميدانية لعينة من المهاجرين غير النظاميين في ثلاث جهات جنوبية مغربية. توضح النتائج أن الهجرة نحو المغرب تتأثر بمجموعة من العوامل التاريخية والدبلوماسية والأمنية، إضافة إلى العوامل الجغرافية التي تجعل منه نقطة عبور رئيسية في الهجرة الإفريقية نحو الشمال. كما تكشف الدراسة عن الدور المركزي الذي تلعبه المسارات غير النظامية عبر الجزائر، والتي أصبحت محورا أساسيا لهجرة الشباب من غرب ووسط إفريقيا. تعكس هذه التحولات دينامية جديدة في تدفقات الهجرة، مما يستدعي إعادة تقييم سياسات الهجرة الإقليمية. يقدم البحث مساهمة علمية في فهم تعقيدات الهجرة الدولية في شمال إفريقيا، مع التركيز على البعد الجغرافي للمسارات والمحددات التي تؤثر على اختيار الطرق الهجرية، مما يثري النقاش الأكاديمي حول أنماط الهجرة في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: إفريقيا، مسارات الهجرة، المغرب، الجزائر، المشهد الحضري.



Abstract:

We aim through this research to analyze the international migration routes of Sub-Saharan migrants in southern Morocco through the eastern crossings, focusing on the geographical and economic transformations influencing migration dynamics in this region. The study adopts a comprehensive geographical approach that combines descriptive analysis, statistical methods, and fieldwork, employing surveys conducted with a sample of irregular migrants across three southern Moroccan regions. The findings indicate that migration to Morocco is shaped by a combination of historical, diplomatic, and security factors, in addition to geographical determinants that position the country as a key transit zone for African migration toward the north. Furthermore, the study highlights the central role of irregular migration routes through Algeria, which have become a primary corridor for young migrants from West and Central Africa. These evolving migration patterns reflect a new dynamic in human mobility flows, necessitating a reassessment of regional migration policies. This research contributes to the scientific understanding of the complexities of international migration in North Africa by emphasizing the geographical dimension of migration routes and the determinants influencing route selection, thereby enriching the academic discourse on migration patterns in the region.

Keywords: African, Migration pathways, Morocco, Algeria, Urban Landscape.

المقدمة

تماشيا مع عولمة ظاهرة الهجرة، تتجه أغلب الدراسات العلمية إلى البحث في ثنایا الهجرة الدولية وسياقاتها، وذلك بالاعتماد على التفسيرات الكلاسيكية القائمة على عوامل الطرد والجذب (Piché, 2013, p 158) في المقابل نجد مناهج علمية حديثة التي تركز على المجال ومفاهيم من قبيل مسارات الهجرة (Ma Mung, 2009, p 28) وتطرح تساؤلات عن التأثيرات الضمنية التي تنقلها على المستوى التحليلي (Boyer, & autres. 2024, p 19)، وليس على المستوى المنهجي فقط. على المستوى الإقليمي، يعتبر المغرب مجالا هجريا بامتياز نظرا للموقع الجغرافي المتمثل في القرب من القارة الأوروبية من جهة (Ferrié, 2020)، ثم الحدود المشتركة مع الجزائر، وموريتانيا، بالإضافة إلى علاقاته الدبلوماسية القوية مع بعض الدول الإفريقية، دون ان نغفل البعد التاريخي الذي لا يزال متأصلا مع السينغال على سبيل المثال لا الحصر. لكل هاته الأسباب وغيرها، كان من الطبيعي أن يكون المغرب وجهة مقصدا لمهاجرين قادمين من دول جنوب الصحراء (Vermeren, 2019)، وهو ما سنعمل على تبيانته وتفسيره من خلال مقالنا انطلاقا من مخرجات البحث الميداني بالجنوب المغربي.

يبقى من المعلوم أن سياقات الهجرة بين شمال المتوسط وجنوبه عموما، والمغرب بشكل خاص، توقفنا على عولمة تدفقات الهجرة (Wihtol de Wenden. 2017, p 20) التي افرزت دينامية هجرية بين شمال المتوسط وجنوب (Wihtol de Wenden. 2010)، الامر الذي يشكل استثناءا يستدعي الدراسة والوقوف عليه، فالمجال المغربي تجتمع فيه صفة الانطلاق والعبور، سواء تعلق الأمر بإسبانيا، او سبتة ومليلية وحتى الجزر الجعفرية، ولا أدل على ذلك سوى عملية تسوية

أوضاع المهاجرين التي كانت على مرحلتين الأولى سنة 2014 و الثانية 2017، حيث شكل مواطنو دول جنوب الصحراء الفئة السائدة التي تعتبر أوضاعها معقدة في المغرب وتفتح آفاق التنبؤ بكون حضورهم هو الرغبة في ولوج فضاء شنغن.

الإشكالية البحثية

تندرج دراستنا في إطار إشكالية عامة مرتبطة بمسارات الهجرة من دول جنوب الصحراء نحو المغرب، والتحويلات التي تعرفها الظاهرة في ظل بروز مهاجرين بملامح جديدة، مختلفة عن مواصفات قداماء المهاجرين من هذه البلدان إلى أوروبا، حيث تمكننا الملاحظة الميدانية من إستخلاص أنها هجرة شابة وتنتج نحو الإرتفاع، وهي مؤشرات لتحويلات تدفعنا للبحث في مساراتهم الهجرية نحو المغرب.

الإشكالية العلمية للمقال، تستند على أسس معرفية تزوج بين النظري والميداني على غرار الدراسات العلمية التي لا يمكن فصلها البتة، بغية الاجابة عن الإشكالية التالية: هجرة مواطني دول جنوب الصحراء نحو المغرب: سياقاتها، ومساراتها الهجرية الدولية نحو الجنوب المغربي.

فرضيات البحث

ما دام البحث يرتبط بموضوع جغرافي يهم موضوع الهجرة عموما، فقد ارتأينا أن نصوغ الفرضيات المحتملة على النحو التالي:

1. سياقات الهجرة من جنوب الصحراء نحو المغرب تم بناؤها وفق محددات جغرافية؛
2. اتجاهات مسارات مهاجري جنوب الصحراء تتشكل بشكل حصري عبر المنافذ الشرقية نحو المغرب.

المنهج والمنهجية المتبعة

إن البحث في بناء المعرفة الجغرافي (Sierra. 2017, p 48) يتم تنويره وإثرائه من خلال المنهج المتبع باعتباره خارطة طريق منهجية بها وعبرها تسمح لنا بإعادة تفسير الظاهرة، وبناء عليه، يلزمنا تبني نظرة شمولية مقارباتية تستجيب لعمق الظاهرة المتشابكة، تعتمد على منهج جغرافي مركب يقوم على الوصف والمقارنة والتحليل والإحصاء (Morange. 2016, p 49) إذ أنه لا يجوز اعتماد منهج وحيد لمقاربة ومعالجة مجمل مكونات الظاهرة، باعتبارها ظاهرة كونية ومجتمعية، قصد الوصول الى معرفة علمية وموضوعية (بنبراح، ٢٠١٠، ص ١٧). فالظاهرة هنا متداخلة نظرا لطبيعتها المعقدة، ولا يمكن استقراء واستنباط تفاصيلها بمنهج واحد، بل الأمر يستدعي استحضار مناهج عدة تتكامل فيما بينها عساها تستطيع الوصول إلى التفاصيل الدقيقة المتجسدة في الجغرافيا البشرية (Bailly, et autres 2018, p 145) وصولا إلى إفرازات مجتمعية من مجالات وعادات وسلوكيات وتاريخ لتخلق ظاهرة مجتمعية تحاول أن تتوحد مع مكونات تصب فيها عناصر عدة أتيننا على بعضها، وسنفصلها أثناء دراستنا للظاهرة ونحن نقف عند المهاجرين من دول مختلفة في كل شيء، وتحاول ان تتوحد في زمن ومكان واحد.

ونظرا لخصوصيات كثير جعلنا نتناول موضوعنا بحذر حتى لا نسقط في عملية الاجترار لباقي الأبحاث العلمية، التي تتشابه بشكل من الأشكال مع وجود فوارق مجهرية، اتبعنا مجموعة من الخطوات التي تتطلب اعتماد تقنيات وميكانيزمات تبقى ضرورية في البحوث الجغرافية (التوثيق، الإحصاء، إستمارة ميدانية) الأمر الذي سيفيدنا لا محالة في معالجة علمية لإشكالياتنا، مع إستحضار خصوصية مجال البحث وأهميته في دراسة الظواهر البشرية.

العمل الميداني ركيزة البحث الجغرافي

معلوم أن العمل الميداني يعد بمثابة الحجر الأساس في البحث الجغرافي، حيث يعتمد على جمع البيانات والمعلومات مباشرة من الميدان. ولضمان أن تصل معطيات البحث الميداني إلى مستوى من الدقة والقبول العلمي، قمنا بإنجاز استمارة ميدانية، تمت صياغتها بما يتناسب مع طبيعة وخصوصية موضوع الدراسة. ويبقى من الجدير بالذكر أن عدم توفر إحصاءات رسمية أو قاعدة معطيات حول المهاجرين غير النظاميين في المغرب قد شكل تحديا كبيرا، مما دفعنا إلى الاعتماد على عينة عشوائية دون تصنيف أو انتقاء مسبق، شملت في مجموعها ١٥٠ مهاجرا غير نظامي من دول جنوب الصحراء، تم توزيعهم بالتساوي على ثلاث الجهات الجنوبية، بواقع ٥٠ مستجوبا في كل جهة.

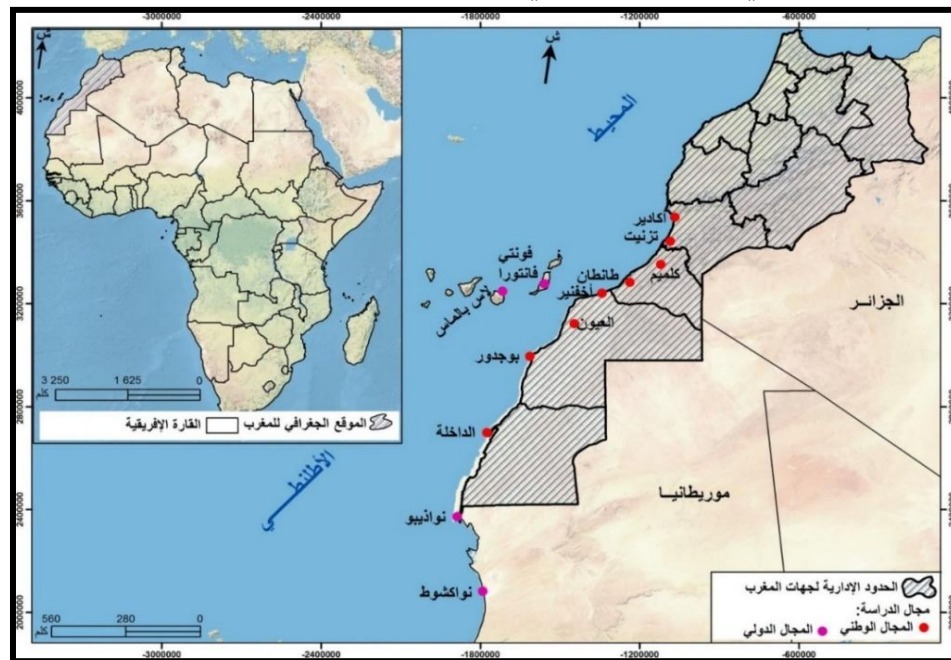
مجال البحث

يتضمن الجنوب المغربي من ثلاث جهات وهي جهة كلميم وادنون، جهة العيون الساقية الحمراء وجهة الداخلة واد الذهب، تغطي الجهات مجتمعة مساحة إجمالية تناهز ٣٢٩١٨٤ كلم^٢، وبالتالي فإننا سنتناول بالدراسة مجالا يغطي ما يفوق 50 في المئة من مجموع التراب الوطني المغربي، ما يجعل من الجنوب المغربي أحد أهم المجالات الوطنية والإفريقية في فهم وتفسير ظاهرة الهجرة، كما أن البحث الميداني ستحكمه منطقيا عناصر تتوافق وقواعد البحث والتحليل بإعتبار المجال الجغرافي مساحة الأرض التي تستخدمها المجتمعات وتطورها، إذ يشمل الأمر جميع الأماكن وعلاقة الإنسان بها؛ هذه هي المساحة التي يدرسها الجغرافة (Roger, 1993, p 133)، هذا التعريف المقتضب وهو جزء من باقي التعاريف، يجسد أهمية دراسة المسارات الدولية لمهاجري جنوب الصحراء نحو

المغرب باعتبارها نتاج الإنسان والمجال (Abourabi & autres, 2019, p 73) ، وتعكس تواتر

الظاهرة وتجدها بمختلف تعقيداتها.

خريطة 1: توطین الزیارات الميدانية للمجال المدروس



٣. خريطة 2: توزيع العينة المستجوبة بالجنوب المغربي حسب البلد المنشأ

المصدر: إنجاز شخصي، انطلاقاً من معطيات البحث الميداني 2020.

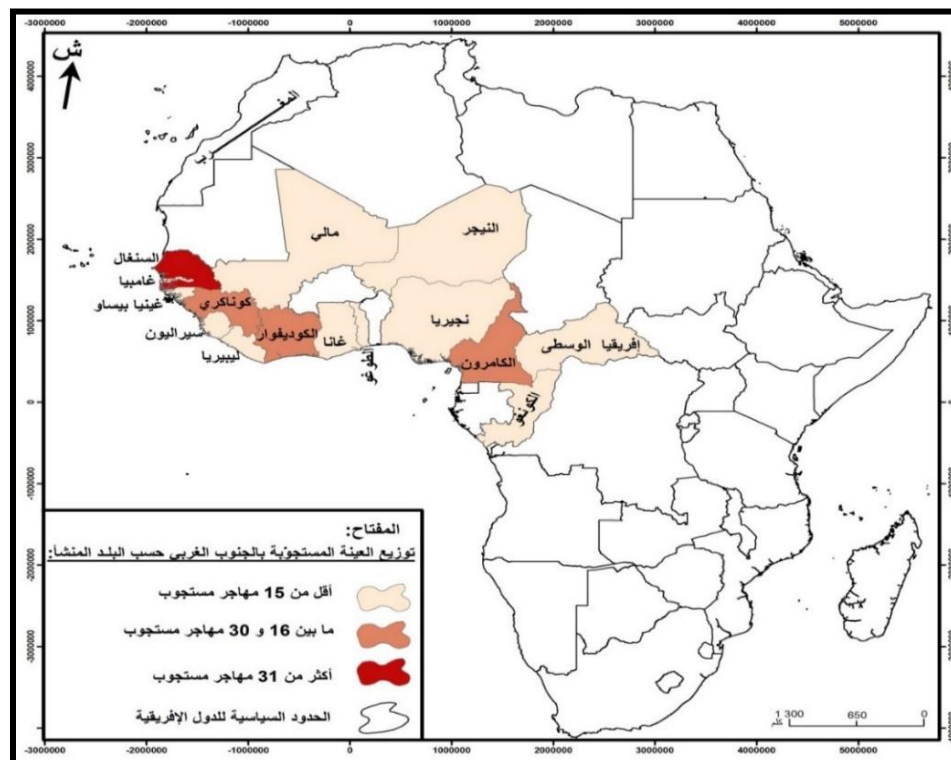
١. نتائج الدراسة

يجدر بنا في بداية عرض نتائج دراستنا، الإشارة إلى هجرة التوافد للمغرب التي تتشكل فيها السمة الأبرز من خلال المحددات الجغرافية وعامل القرب، بالإضافة إلى محددات ديبلوماسية مبنية على العلاقات الدولية، كما يوضح ذلك تحليل بنية هجرة التوافد على المغرب، الممكن تصنيفها كما يلي:

١. اجانب من جنسيات أوروبية مختلفة تقدر نسبتهم ب 40% بما مجموعه 33615 أجنبي

(المندوبية السامية للتخطيط ٢٠١٧، ص ٢).

٢. عمالة أجنبية، تتميز بضعفها العددي، حيث يصل عددها ما بين 2004 و ٢٠١٢ إلى ما



يعادل 8034 عاملاً اجنبياً (تقارير الحصيلة الاجتماعية ٢٠٢٠).

٣. أفارقة من دول الساحل وجنوب الصحراء، وتبلغ نسبتهم التقديرية، استنادا إلى إحصائيات تقرير
الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان: السنغال، 28.52%، سوريا 17.55%، نيجيريا 8.16%،
ساحل العاج 6.41%، غينيا 5.79%، الكونغو 5.28%، مالي 4.97%، الفلبين 3.70%،
الكاميرون 3.63%، موريتانيا 2.57%، غينيا بيساو 2.2%، جمهورية الكونغو الديمقراطية
1.77%، إفريقيا الوسطى 0.94%، وجزر القمر 0.80%، وليبيريا (Fondation

international des droits de l'Homme, 2017, p 15) 0.63%

٤. اللاجئين السوريون الذين هجروا فرارا من الحرب، وقد احتلوا المرتبة الثانية من بين أعداد
المستفيدين من طلبات تسوية الوضعية القانونية^١، بعد السنغاليين، بما يعادل 5250^٢.
يلاحظ، في هذا الصدد، أن هجرة العبور هي الأكثر تمثيلية، وأن الجزم عن تحول المغرب من بلد
عبور إلى بلد استقرار غير دقيق، ونفسره بأن السياسة المغربية الجديدة في مجال الهجرة موجهة
بالأساس لتدبير تدفقات المهاجرين من دول افريقية للمغرب، بعد امتناعه عن تدبير هذه الأفواج
بتطبيق الفصول القانونية المنظمة لدخول الأجانب عبر الاقتياد للحدود، التي انتقدتها منظمات دولية
تهتم بقضايا الهجرة، بالنظر للحالة التي ينظمها القانون المغربي لوج التراب الوطني، التي يمكن
تقسيمها قاريا الى ثلاث اقسام وهي:

✓ مواطنون أفارقة معفيون من تأشيرة دخول.

✓ مواطنون أفارقة يفترض حصولهم على تصريح إلكتروني.

^١ قدمت هذه الأرقام في تصريح الوزير المنتدب لدى وزير الداخلية الشرقي الضريس، في ندوة بسلا بتاريخ الإثنين 9
فبراير 2015، يمكن الاطلاع على ذلك من خلال رابط البوابة الرسمية للمملكة المغربية :

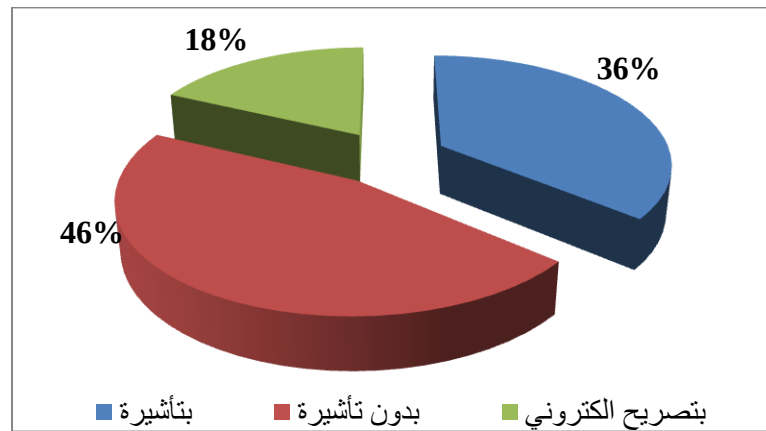
<http://www.maroc.ma>

^٢ اختار المغرب منح اللاجئين السوريين بطائق الإقامة، بدل وضع اللاجئين، لأسباب غير محددة تحتاج للدراسة.

✓ مواطنون أفارقة يفترض عليهم الحصول على تأشيرة دخول.

هذا التقسيم يبين تنوع الحالات التي يمكن أن يلج بها مواطنو جنوب الصحراء للمغرب، فهي تختلف باختلاف الأصل الجغرافي. ويفسر التباين أدناه على أساس العلاقات الدبلوماسية التاريخية التي تجمع بين المغرب وباقي الدول الإفريقية، نقدمه بياناً حسب نتائج البحث الميداني كالاتي.

٤. مبيان ١: توزيع المستجوبين من إفريقيا جنوب الصحراء حسب طبيعة دخول المغرب



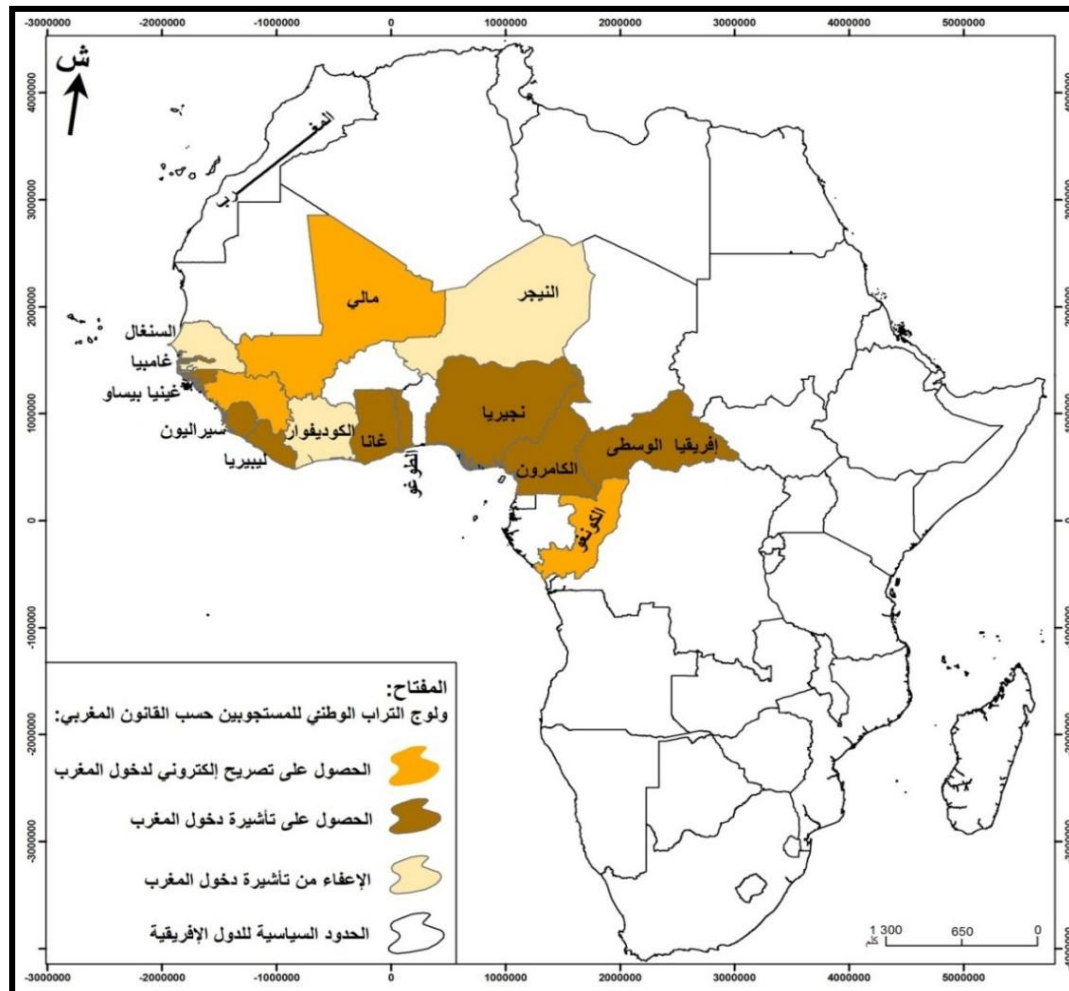
المصدر: إنجاز شخصي، انطلاقاً من معطيات البحث الميداني 2020.

حسب المعطيات البيانية اعلاه، فإننا نستخلص الحضور المميز لمهاجري جنوب الصحراء الذين يحق لهم دخول المغرب دون الحاجة الى تأشيرة دخول وذلك بنسبة 46%، ينتمون حسب الأصل الجغرافي الى دولة السينغال، و الكوديفوار، والنيجر، بالإضافة الى الغابون، ونجزم ان دخول هاته الفئة يكون لازاميا عبر المعابر الحدودية الجنوبية أو عبر الطائرة ويكون دخولهم نظاميا، في حين تسجل نسبة 36% من حضور مهاجرين يفترض في تواجدهم بالمغرب الحصول على تأشيرة دخول، غير ان الغالبية فيهم كان دخولهم عبر المنافذ الشرقية، بدليل الحدود المغربية الجزائرية المغلقة منذ تسعينيات القرن الماضي ما يعني قطعاً دخولهم بطريقة غير نظامية. وتقدم لنا الخريطة التالية صورة

شاملة عن الأصل الجغرافي للفئات المستجوبة وطبيعة دخول المغرب المفترضة حسب القانون المغربي.

٥. خريطة ٣: طبيعة ولوج التراب الوطني المفترضة للمستجوبين بالجنوب المغربي

٦. حسب القانون المغربي



٧. المصدر: إنجاز شخصي، انطلاقاً من معطيات البحث الميداني 2020.

من خلال قراءتنا للخريطة واستحضارنا لحرية التنقل بين دول الغرب الإفريقي، يتبين أن هذا المجال يضم دول يحق لمواطنيها دخول المغرب دون الحاجة الى تأشيرة وهي السنغال، والكويتفوار، ثم النيجر، في حين فئات تعرف تنوعاً يحتم عليهم الحصول على تأشيرة وتهتم بالأساس جنسيات من

دول الغرب الإفريقي غامبيا، غينيا بيساو، سيراليون، ليبيريا، غانا، الطوغو، نيجيريا، والوسط الإفريقي، ممثلة أساسا في دول الكاميرون، والكونغو، وأفريقيا الوسطى. وقد شكل هذا التنوع في جنسيات مهاجري جنوب الصحراء بالجنوب المغربي اساس بحثنا بغية الوقوف على مسارات المهاجرين نحو المعابر الجنوبية أو المنافذ الشرقية مع الجزائر، ويبين الجدول أسفله توزيع المهاجرين جنوب الصحراء الذين كان دخولهم الى المغرب انطلاقا من الجارة الشرقية وهو دخول يعتبر حتما وبصفة قطعية غير نظامي.

٨. جدول ١: ولوج التراب الوطني عبر المنافذ الشرقية للفئات المستجوبة بالجنوب المغربي

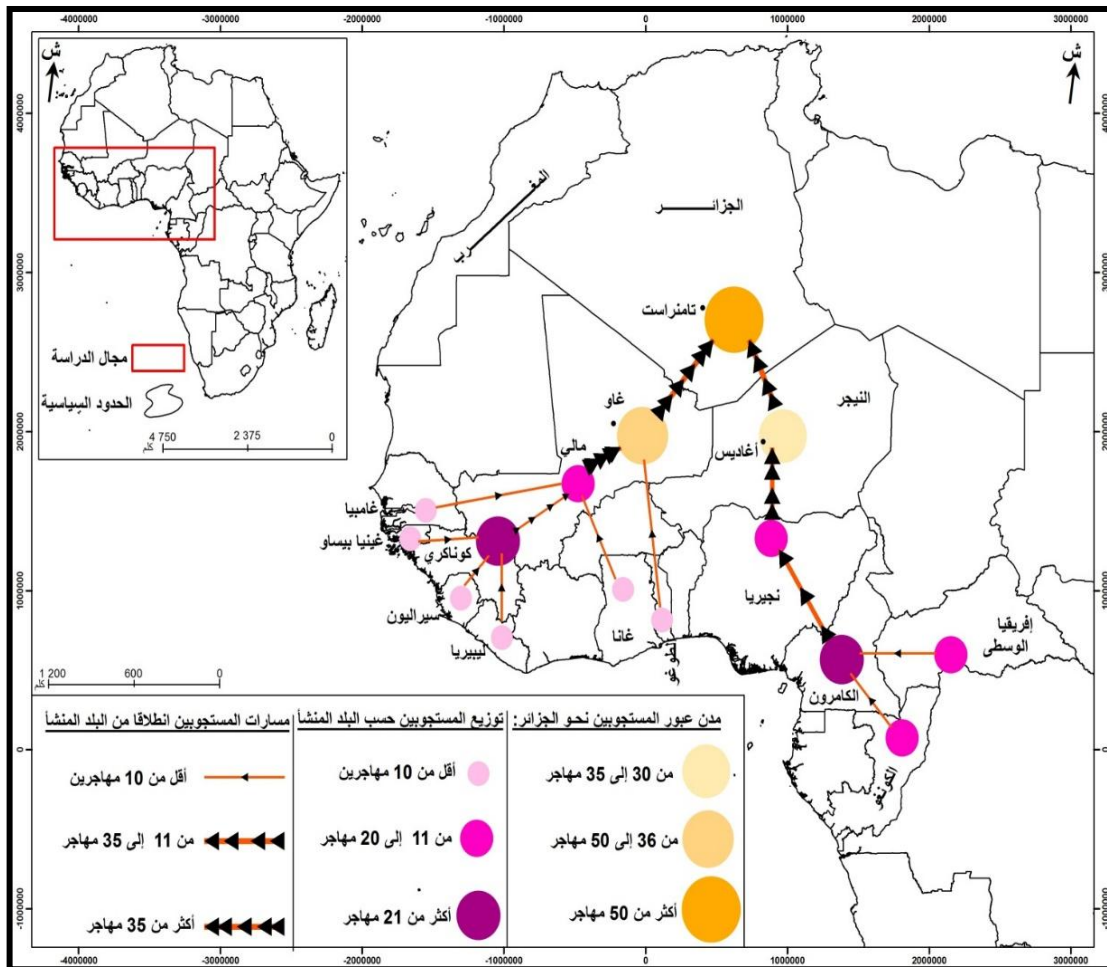
الجنسية	مجموع المستجوبين	ولوج التراب الوطني عبر الجزائر
غينيا كوناكري	23	12
كاميرون	19	13
مالي	13	9
سيراليون	11	4
نيجيريا	10	6
افريقيا الوسطى	8	8
الكونغو	6	6
غانا	4	4
طوغو	4	4
غامبيا	4	2
ليبيريا	3	2
غينيا بيساو	3	2

المصدر: إنجاز شخصي، انطلاقا من معطيات البحث الميداني 2020.

نسجل ومن خلال نتائج البحث الميدان الممثلة في الجدول أعلاه، أن أغلب المهاجرين المفترض في دخولهم المغرب الحصول على تأشيرة يتجهون بالأساس نحو المنافذ الشرقية، ما يعني أن طبيعة دخولهم كانت بطريقة غير نظامية، ونخص هنا بالذكر مهاجري دول الكاميرون، سيراليون، نيجيريا، افريقيا الوسطى، غانا، طوغو، غامبيا، ليبيريا، وأخيرا غينيا بيساو. كما يلاحظ أيضا أن المنفذ

الشرقي يشكل بوابة لفئة من المهاجرين نظم دخولها بالحصول على تصريح الكتروني، وهو الأمر الذي نفسره كون التصاريح الإلكترونية تكون على اساس الانتقاء لدول غينيا كوناكري ومالي واخيرا الكونغو برازافيل. المهاجرون القادمون من غينيا كوناكري والكاميرون يشكلون النسبة الأكبر من المجموع الكلي للمستجوبين، وهو ما يعكس الظروف الاقتصادية والسياسية غير المستقرة في هذه الدول. بينما نجد أن المهاجرين من دول مثل الكونغو وإفريقيا الوسطى يختارون المغرب كنقطة عبور نظرًا للاستقرار النسبي مقارنة بمناطق النزاع في بلدانهم الأصلية.

٩. خريطة ٤: مسارات المهاجرين المستجوبين بالجنوب المغربي نحو الجزائر



المصدر: إنجاز شخصي، انطلاقاً من معطيات البحث الميداني 2020.

ويتضح من خلال الخريطة أعلاه أن مالي لم تكن بعيدة عن هاته الإفرازات التي سبق ذكرها مع التذكير أنه تولد شعور بالاعتيادية تحت غطاء الإنسانية، حتى أن "بعض المهاجرين لدى وصولهم الى مالي يقرون بان الجنود الماليين بالتكنات الحدودية مع الجزائر يتبرعون لهم أحيانا بالملابس أو يشاركونهم الطعام" (Lecadet, 2010, p 7) ليصبح شمال مالي أكثر من أي وقت مضى مكانا استراتيجيا مرغوبا فيه (Lesclingand, 2011, p 33) ، ومجالا لعبور إلزامي نحو شمال القارة، وبالتالي مساحة في طور اعادة التشكيل نتيجة الأنشطة الاقتصادية والحركات السكانية التي تولد بفعل هجرة جنوب الصحراء (Touunkara, 2017, p 28) . عموما يعد مجال غرب ووسط أفريقيا، أحد أهم المجالات الجغرافية لدراسة ظاهرة الهجرة من دول جنوب الصحراء نحو شمال أفريقيا بشكل عام والمغرب بشكل خاص، وذلك نظرا لتعدد مساراتها وإفرازاتها على المجال والمجتمع.

مناقشة النتائج

إذا كانت مسالك الهجرة التي تتقاطع ومجال وسط افريقيا نحو الجزائر عبر النيجر أو نحو ليبيا عبر تشاد معروفة (Brachet, & autres 2011, p 127) ، فإننا لاحظنا من خلال نتائج بحثنا الميداني أن مهاجري جنوب الصحراء لا يترددون في تجربة المغامرة غربا، والابتعاد عن المحور المركزي الذي يمر عبر المدن المالية من قبيل باماكو، وتمبكتو، وغاو، في اتجاه، أغاديس ونيامي وأرليت بالنيجر للوصول إلى تمرناست بالجزائر .

كما يتبين لنا كيف شكلت مدينة أغاديس بالنيجر نقطة عبور رئيسة لمهاجري من جنسيات الكونغو الديمقراطية، وأفريقيا الوسطى، والكاميرون، والنيجيريين، ليتجه المهاجرون بعدها نحو المدن الحدودية وبالضبط مدينة أساماكا بالنيجر، ثم مدينة تمرناست بالجزائر، التي تعتبر من بين المدن

الجزائرية الرئيسة بعد دخول المهاجرين جنوب الصحراء الجارة الشرقية (Spiga, 2005,p89) ما يدفعنا للأخذ بالقول أن المسارات التاريخية للحركات السكانية بين شمال القارة وجنوبها يعاد احياءها وفق قواعد جديدة، وربما تفسير الأمر يرجع إلى فطرة الإنسان الإفريقي التي جلبت للاتجاه نحو الشمال، فمدينة أغاديس تعد اليوم مدينة محورية لعبور الحزام الصحراوي (Hamani, 2015) ، هذا الطرح يتوافق وما اتجهت اليه بعض الأبحاث حول الهجرة بمنطقة الساحل والصحراء من قبيل (Elie Goldschmidt)، بالقول: "...إن أغاديس تتعاطف بشكل كبير مع المهاجرين العابرين، الذين ساهموا بإعادة إحياء دور مفترق الطرق الذي تمتعت به المدينة في القرن السادس عشر، عندما احتلت مكانا محوريا في التجارة عبر الصحراء، وتقاطعات مسارات القوافل الرئيسة التي تربط جنوب القارة بالبحر الأبيض المتوسط" (Goldschmidt Élie, 2002, p 225) .

أما بخصوص المهاجرين من دول غينيا كوناكري، مالي، سيراليون، غانا، الطوغو، وغامبيا وليبيريا وغينيا بيساو، وانطلاقا من مخرجات البحث الميداني فإن مالي تشكل أهم دولة حدودية للجنسيات المذكورة تستمد إلهامها من ديناميكيات تاريخية لعبت فيها مدينة تمبكتو تاريخيا صلة وصل بين جنوب وشمال القارة الإفريقية (Surun, 2002, p 132) ، أما اليوم فالدور يعود بالأساس إلى الحدود والديناميات الجغرافية المتمثلة في ما يلي:

- حرية التنقل بين دول الغرب الإفريقي.
- عدم الاستقرار الأمني والسياسي.
- الحدود المشتركة بين مالي والجزائر.

تعتبر اليوم المدن المالية من قبيل غاو وتمبكتو أهم المدن التي تلعب دورا أساسيا في هجرة مهاجري جنوب الصحراء، إلى درجة أن شبهت الباحثة (Ouallet Anne)، المدينتان السالف ذكرهما "بموانئ الصحراء"، نظرا للدور التي تقدمه للمهاجرين العابرين من خلال توفير العمل، وباعتبارها مدن القرارات وإعادة التنظيم للهجرة نحو الجزائر ثم الى المغرب (Ouallet, 2008, p 82)، وهذا ما يسري على مسارات المهاجرين السينغاليين نحو النيجر، ويتطابق مع مهاجري الغرب الإفريقي نحو الجزائر مرورا بالنيجر، فالباحثة (Sophie Bava) تناولت مسألة مسارات الهجرة من دول جنوب الصحراء عبر النيجر ومالي كآلاتي: "...يصل المهاجرون القادمون من داكار او من شرق السينغال الى مدينة نيامي بالنيجر عبر المرور بمدينة بكاييس ثم العاصمة المالية باماكو، ثم الاتجاه نحو وموبتي، فغاو شرق مالي قبل الانضمام إلى أغاديس ، المحطة الأخيرة قبل محاولة عبور الصحراء الكبرى عبر جيركو وبيلما بالنيجر، في اتجاه تمرست الجزائرية" (Bava, 2005, p 111).

توضح المسارات الدولية للمهاجرين نحو الجزائر المستسقة من نتائج البحث الميداني، عن الدول التي تلعب دورا أساسيا في هجرة جنوب الصحراء، فمدن النيجر مثل نيامي، و أغاديس، وأرليت، تشكل نماذج في إعادة إحياءها من قبل المهاجري (Bensaâd, 2003, p 11)، وحتى أن مشهدها الحضري بدأ يتغير، فبعض أحيائها تعيش على ايقاع وصول المهاجرين ومغادرتهم كما هو الحال في الأحياء القريبة من محطة حافلات أغاديس حيث تم إنشاء العديد من الأنشطة المرتبطة بالمهاجرين جنوب الصحراء من قبيل "مرافق الإقامة، صرف العملات، بيع البضائع المستخدمة لعبور الصحراء، وكالات النقل، أماكن البغاء..." (Brachet, 2005, p 45)، لتشكل افرازات هجرة

عبور مهاجري جنوب الصحراء (Hamani, A. 2015) بشكل عام على مدن العبور أحد أهم التأثيرات على المشهد الحضري من جهة وعلى المواطن بالنيجر ومالي من جهة أخرى (Boyer, 2018, p 95).

الخاتمة

من خلال نتائج البحث الميداني، تبرز مسارات الهجرة المعقدة لمواطني دول جنوب الصحراء نحو المغرب، والتي تتقاطع مع عدد من المدن والمحطات الرئيسية في منطقة الساحل والصحراء. ففي حين كان التقليد الهجري يعبر عبر المحاور المركزية مثل مالي، باماكو، تمبكتو، وغاز، نلاحظ أن المهاجرين يختارون اليوم طرقاً مغايرة، حيث يتجهون غرباً، مبتعدين عن المسارات التقليدية، ويعبرون عبر مدن مثل أغاديس في النيجر وأرليت وتمنراست في الجزائر. يتضح أن هذه المدن أصبحت بمثابة نقاط عبور رئيسة ومفترقات طرق هامة، تعكس تأثيرات تاريخية وجغرافية على حركة الهجرة في المنطقة (Agier, 2014, p 15). إن مدينة أغاديس، التي كانت في الماضي مركزاً تجارياً هاماً على طريق القوافل الصحراوية في القرن السادس عشر، قد أُعيد إحيائها اليوم كمحور أساسي لعبور المهاجرين نحو الشمال (Bensaâd, 2003, p 6)، مما يثبت فرضية أن ديناميكيات الهجرة الحالية في منطقة الساحل والصحراء هي بمثابة استعادة لأدوار تاريخية قديمة (Brachet & autres. 2011, p 165). وفي هذا السياق، اتجهت أغلب الأبحاث إلى اعتبار أغاديس قد استرجعت مكانتها كمفترق طرق هام في تجارة الصحراء، لينضاف إليها دور جديد كمدينة عبور للمهاجرين من مختلف الجنسيات.

أما فيما يتعلق بمهاجري غرب إفريقيا، فإن المدن المالية مثل غاو وتمبكتو تلعبان دوراً محورياً في إعادة تنظيم مسارات الهجرة نحو الجزائر ثم المغرب. هذه المدن لم تعد فقط معروفة بتاريخها الثقافي والتجاري، بل أصبحت اليوم نقاط تجمع وتسهيل للمهاجرين الذين يمرون عبرها بحثاً عن فرص عمل وإعادة تنظيم مساراتهم الهجرة.

وحري بالبيان أيضاً أن المدن النيجرية مثل نيامي وأغاديس وأرليت شهدت تغيرات حضرية كبيرة نتيجة لاستقبال المهاجرين العابرين عبر هذه المدن، من خلال هذه ظهور أنشطة تجارية جديدة مثل مراكز الإقامة، مكاتب صرف العملات، ووكالات النقل مما يتماشى واحتياجات المهاجرين لعبور الصحراء الكبرى، لتصبح ومع مرور الوقت، جزءاً من النسيج الاقتصادي والاجتماعي للمدن المعنية.

ختاماً، يتبين من خلال ما سمحت به المعطيات الميدانية، وما قادتنا إليه التحاليل الميدانية، أن الهجرة من دول جنوب الصحراء نحو المغرب ليست مجرد انتقال عابر للأفراد، بل هي جزء من ديناميكية واسعة تتأثر بالآزمات السياسية والاقتصادية في دول المصدر، بالإضافة إلى العوامل التاريخية والجغرافية التي تعيد تشكيل المسارات الهجرة، كما أن هذه الظاهرة تؤثر بشكل عميق على مدن تمثل محطات عبور، من خلال بروز تأثيرات اجتماعية واقتصادية تكون نتائجها مباشرة في إحداث تغيرات على المشاهد الحضرية.



المصادر والمراجع

1. Abourabi, Y., & Ferrié, J. (2019). La politique migratoire du Maroc comme instrument de sa diplomatie africaine. *Revue Afrique(s) en mouvement*, 1(1), 68-80.
2. Agier, M. (2014). Parcours dans un paysage flottant de frontières. *Revue européenne des migrations internationales*, 30(2), 13-23.
3. Bailly, A., Ferras, R., & Scariati, R. (2018). La géographie dans le champ des sciences. *Éléments d'épistémologie de la géographie* (3e éd., pp. 143-152). Armand Colin.
4. Bava, S. (2005). Variations autour de trois sites mourides dans la migration. *Revue Autrepart*, 36, 111.
5. Bensaâd, A. (2003). Agadez, carrefour migratoire sahélo-maghrébin. *Revue européenne des migrations internationales*, 19(1), 1-1.
6. Boyer, F., & Chappart, P. (2018). Les frontières européennes au Niger. *Revue Vacarme*, 83(2), 92-98.
7. Boyer, F., Breda, G., Lima, S., & Miranda, A. (2024). Réflexivité et engagement : faire de la recherche sur les migrations aujourd'hui. *Revue Migrations Société*, 197(3), 17-27.
8. Brachet, J. (2005). Migrants, transporteurs et agents de l'État : rencontre sur l'axe Agadez-Sebha. *Revue Autrepart*, 36(4), 45.
9. Brachet, J., Choplin, A., & Pliez, O. (2011). Le Sahara entre espace de circulation et frontière migratoire de l'Europe. *Revue Hérodote*, 142(3), 163-182.
10. Ferrié, J. (2020). Contraintes et limites de la politique migratoire marocaine. *Revue Migrations Société*, 179(1), 109-113.



11. Goldschmidt, É. (2002). Migrants congolais en route vers l'Europe. *Revue Les Temps Modernes*, 620-621, 225.
12. Hamani, A., & Bontianti, A. (2015). Agadez, un nœud de la migration internationale au Niger. *Revue Les Cahiers d'Outre-Mer*, 270(2), 189-206.
13. Lecadet, C. (2010). Itinéraires de la faim des migrants subsahariens expulsés d'Algérie au Mali. *Revue Anthropology of Food*, 7.
14. Lesclingand, M. (2011). Migrations des jeunes filles au Mali : exploitation ou émancipation ? *Revue Travail, genre et sociétés*, 25(1), 23-40.
15. Ma Mung, E. (2009). Le point de vue de l'autonomie dans l'étude des migrations internationales : "penser de l'intérieur" les phénomènes de mobilité. Presses de l'Université de Rennes.
16. Morange, M., & Schmoll, C. (2016). L'approche qualitative en géographie : une démarche et une posture. In *Les outils qualitatifs en géographie : Méthodes et applications* (pp. 17-32). Armand Colin.
17. Ouallet, A. (2008). La question migratoire et les dynamiques transsahariennes à travers l'exemple malien. *Revue Annales de géographie*, 663(5), 95-103.
18. Piché, V. (2013). Les théories migratoires contemporaines au prisme des textes fondateurs. *Revue Population*, 68(1), 153-178.
19. Sierra, P., & Djament-Tran, G. (2017). La géographie dans le champ des connaissances. In P. Sierra (Dir.), *La géographie : concepts, savoirs et enseignements* (2e éd., pp. 47-67). Armand Colin.
20. Spiga, S. (2005). Aménageurs et migrants dans les villes du Grand Sud algérien. *Revue Autrepart*, 36(4), 81-103.



21. Tounkara, M. (2017). Les itinéraires migratoires illégaux des Maliens : récits de deux migrants sur leurs parcours. Revue L'autre, 18(1), 27-37.
22. Vermeren, P. (2019). Le royaume du Maroc a lié son destin aux migrations. Revue Hérodote, 174(3), 209-224.
23. Wihtol de Wenden, C. (2010). Enjeux autour des flux migratoires dans les décennies à venir. Revue internationale et stratégique, 80(4), 75-83.
24. Wihtol de Wenden, C. (2017). Mondialisation et régionalisation des flux migratoires. Raison présente, 203(3), 20.